رياح محمد الفاتح

الدكتور جابر قمحية (❖)

جِئْتُ والشوقُ سابقٌ لمَسَارِي «لِسَرَايِيفُو» نُزْهَةِ الأنْظارِ
لَمَغانيها الراقصاتِ من الفِتْـ ـنَةِ والسِّحرِ والنّدى المِعْطارِ
لأعيشَ الربيعَ يزْهُو اخْتِيالاً وشروقاً يفيضُ بالأنوارِ
غيرَ أنِّي شهدْتُ فيها المنايا كالحاتٍ في أعْظُمٍ.وَدَمارِ
ها هي الشمْسُ في وِشاحِ ظلامٍ مِنْ دُخانٍ مُعَرْبِدٍ وَغُبارِ
ويُريكَ المَساءُ مِنْ شدّةِ النَّا رِ نهاراً.. يا لَهُ مِنْ نَهارِ!!
بعدَ أنْ عَاثَت المجاحِمُ فيها وانفجارٌ يتْلوهُ ألفُ انْفجارِ
لم يَعُدْ غيرُ باطنِ الأرْضِ للنَّا سِ مَلاذاً مِنْ ظَهْرِها المَوَّارِ
فإذا الغائرُ العميقُ مِنَ الأرْ ضِ جحيمٌ من اللَّظَى والشَّرارِ
والديارُ الْعَمَارُ أينَ أَراها؟ هذه الأرضُ قَدْ خَلَتْ مِنْ ديار
فإذا ما نَجَتْ مِنَ النارِ دارٌ لمْ تُشاهِدْ بالدارِ مِنْ دَيَّارِ
والرياضُ الغَنَّاءُ ذابتْ مِنَ النَّا رِ وصَارَتْ لَظَىً على الأَطْيَارِ
رُبَّ سَارٍ بالليلِ داسَ قُلُوبا وعيونا- في الأرضِ ذاتَ احْورار
خفّف الوَطْءَ -يارعاكَ إلهي- ذا دمٌ مُسْلِمٌ كما الأنْهارِ
ورُؤوسٌ من الضحايا تهاوتْ خَالَطَتْ مُحْرَقاً من الأشْجَارِ
ورَضيعٌ يمتصُّ حَلْمَةَ ثَدْيٍ بينما الأمّ فُحِّمَتْ مِنْ نَارِ
وكِتابٌ بكفِّ تلميذةٍ غَنَّـ ـتْ لمستقبلٍ بلا أوْزارِ

(❖) الدكتور جابر قمحية : ولد في المنزلة بمصر عام ١٩٣٤م. وهو أديب ناقد وشاعر مبدع، نشر له عدد من الكتب الأدبية والنقدية والدواوين الشعرية.

أخْـرَسَتْـها وَمـزَّقَتْـهُ الشظايا ... فـامّـمحى الحـبْـرُ بالدمِ المِدْرارِ
وَحِمَى الدينِ قدْ غدا مُسْتباحا ... و«سـرايـيـفـو« مَـالَهـا من ذِمـارِ
والمحـاريبُ قـد عـلاها ظلامٌ ... بعْـدَمـا أهْـدرُوا دمَ الأنْوارِ
والصليبُ اللعينُ في كُلِّ دَرْبٍ ... حَـوْلَـهُ هـالـةٌ مِـن الأزْهـارِ
وعَـذَارى لعِـرْضِـهنّ نشـيجٌ ... يُشْـهِـدُ الفجْـرَ بالصراخ الجِهار
اسْـتـبـاحتْ عـفـافَـهُ ودمـاهُ ... عُـصْـبـةُ الكفْـرِ والهوى الغـدَّارِ
وصحا الفجرُ راثيا طُهْرَ عرضٍ ... دامعٍ نـازفٍ مـن الأظفـارِ
ونيوبُ الكلابِ في الجسدِ الغَضِّ ... تمادتْ كَـمُـدْيَةِ الجـزَّار..
وكـئـوسٌ من الدِّمَـا مـتـرعـاتٌ ... بأكفٍّ منهـومـةٍ مِنْ سُـعَـارِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

لُمِـي يا ابْنَتي نَـزيفَ جِـراحٍ ... وبَقَـايا مِنْ دَمْـعِكِ المنهْـارِ
وهشـيـمـا -بالأمسِ كَـان زُهوراً- ... وبقـايا مـهْـتـوكـةً مِنْ إزَارِ
وحـذاءً مِنْ إرْثِ طفْلٍ شـهـيـدٍ ... لمْ يُمَكِّنْهُ رُعْـبُـهُ مِنْ فِـرار
واقْذفيها - بكلِّ ما فيكِ مِنْ كَرْ ... بٍ وآلامٍ- في وجـوهِ الكبـارِ
فَـهُمُ سـادةُ الخـديعـةِ والأمْـ ... ـرُ إليـهمْ في «مـجْلسِ التـجَّـار«
حـيثُ حَقُّ المظلومِ فـيـهِ هبـاءٌ ... والقـرارُ الأخـيـرُ للشُّطَّارِ
فـإذا قـالُوا غـيـرَ ذلك قُـومِي ... مِنْ جِـراحٍ شـدَّتْكِ في إصـرارِ
واسْـألـيـهم -والحقُّ يملأُ بُرْدَيْ ... يكِ شـعـاراً -أنْعِمْ بِه مِنْ شـعـار
أَلأنِّي اتَّبـعْتُ خـيـرَ نَبـيٍّ ... وتَلَوْتُ القـرآنَ في الأسْـحـارِ
واتَّخَـذْتُ العَـفَـافَ درْعـاً طهـوراً ... وتَحـشَّـمْتُ بالتُّـقَى والوقَـارِ
ورَفضْتُ الحرامَ في الحانَةِ السَّكْـ ... ـرَى أبيعُ المتـاعَ للسُّـمَّـارِ
ألهـذا يُبـاحُ عِـرْضي.. ودارِي ... وبلادِي بِشـرْعَـةِ الفُـجَّـارِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

أينَ منَّا «محمدُ الفاتحُ»(❖) المغْـ ـوارُ يَمْضي بالفيلقِ الهَدَّار
حين -يوما- يقودُ أسطوله الفَذَّ، ويوما بجيْشهِ الجرّارِ
يُرْعبُ البغْيَ حينَ يَمْضي فتهوي شامخاتُ القلاعِ والأسوارِ
رافعاً رايةً تَسامَتْ وعَزَّت إنَّها رايةُ العُلا.. والفخارِ
صوْتُهُ الحقُّ، والسيوفُ المواضِي في نحور البلقانِ.. والبلْغارِ
أيْنما سارَ هادَنَتْهُ الليالي وانتصارٌ أتاهُ تلْوَ انتصارِ
وهَوَتْ قُسْطَنطِينَةُ الكفْرِ حَسْرى بيَدِ الفاتِحِ العظيم النِّجَارِ
وتسامَتْ مآذِنُ الحقَّ فيها.. وتعالى الأذانُ في الأسْحَارِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

هلْ تهبُّ الغداةَ يا «فاتحَ» الأمْـ ـسِ لقومٍ كانُوا من الفُرَّارِ
ثم صارُوا في غيبة الأُسْدِ أُسْداً فَهُمُ اليومَ سادةُ الكُرَّارِ
وإذا ما خَلا العَرينُ من الآ سَادِ أضْحى العرينُ سُكْنَى الفارِ
وإذا غَابَت النُّسورُ تَعالى في حِمى النَّسْرِ تافهُ الأطْيارِ

❖ ❖ ❖ ❖ ❖ ❖

هلْ سمعتَ الغداةُ يا «فاتحُ» للصِّرْ بِ وما جَمَّعُوا من الأنْصارِ
أقْسَمُوا لنْ يكونَ في «البُسْنِ والهَرْ سكِ» إسلامٌ بل صَليبُ العارِ
ورَمَوْنا بعارِهِمْ ثم راحُوا يَزْدِهى عَارُهُمْ بوهمٍ ضَارِ
ونَسُوْا أنَّ شرَّهَمْ إن يَحُزْ في يَوْمِهِمْ هذا جَوْلَةً فِي المَسَارِ
فَسَيهْوِي غَداً زَهُوقاً لعيناً في هوانٍ وذلّةٍ وانكسارِ
فالبقاءُ الأصيلُ للحقِّ مَهْما طالَ بغيُ الدَّعِيِّ.. والجبّارِ
والظلامُ الخسيسُ مهْما تَمادى سوفَ تطوي مَداهُ شمسُ النهار